مقالة

كان سعود الفيصل أشطر

محمد نزال

متى أصبحت السعوديّة تكره حزب الله؟ هل كان ذلك بعد دخول الحزب سوريا ومساهمته في لجم «ثورتها» هناك؟ هل كانت تُحبّه، أو أقلّه لا تُريد سحقه، قبل ذلك؟ مِن الحبّ ما فضحته الوثائق المُسرّبة. فقبل أكثر مِن تسع سنوات، أيّ قبل «الربيع العربي» بسنوات، كان وزير خارجيّة السعوديّة، الراحل سعود الفيصل، يجتمع بكبير مستشاري الخارجيّة الأميركيّة، ديفيد ساترفيلد، طالباً مِنه غزو للقضاء على حزب الله «إلى الأبد». كان هذا قبل السيهان وابن سلمان.

في إحدى وثائق الخارجيّة الأميركيّة المُسرّبة (ويكيليكس) قبل سبع سنوات، والتي نشرتها صحيفة «غارديان» البريطانيّة، يقترح الفيصل «تأليف قوّة عربيّة، تدعمها الولايات المتّحدة وحلف شمال الأطلسي، بغية التدخّل في لبنان والقضاء على حزب الله». يُفصّل الفيصل خطّته، أمام ساترفيلد، ويقول: «إنّها بمثابة الردّ الأمني ـ العسكري على التحدّي العسكري الذي تواجهه حكومة لبنان مِن الحزب».

لطالما اعتقد آل سعود أنّهم بأموالهم يُمكنهم دفع أميركا لتفعل ما يشتهون. وغالباً كانوا يُصابون بالخيبة. العهد الأميركي، التاريخي، لهم هو بالحفاظ على وجودهم مقابل الطاقة (اتّفاق كوينسي بين روزفلت وعبد العزيز عام 1945). وفي الأميركيّون بعهدهم، فعلاً، فظلّت العائلة الحاكمة حاكمة، أمّا في ما هو أبعد مِن ذلك فغالباً كان لهم رأيهم الخاص (إلا بما يُناسبهم).

الفيصل، بحسب الوثيقة المُسرّبة، يقول للأميركي: «على الولايات المتّحدة والأطلسي توفير وسائل النقل والدعم اللوجستي، فضلاً عن الغطاء البحري والجوي، وإلا فإنّ انتصار حزب الله في بيروت سيعني نهاية حكومة السنيورة واستيلاء الإيرانيين على لبنان». لمس الفيصل مِن ساترفيلد (كان سفيراً لبلاده في لبنان) عدم تحمّسه، أو عدم أخذه للمسألة على محمل الجدّ، فكان لا بدّ مِن تحريضه: «إنّ انتصار حزب الله، إلى جانب الأعمال الإيرانيّة في العراق، وعلى الجبهة الفلسطينيّة، سيكون كارثة للولايات المتّحدة والمنطقة بأسرها». لكن مستشار الخارجيّة الأميركي ليس شيخ عشيرة في القصيم مثلاً. هذا ما سيكتشفه وزير الخارجيّة السعوديّة، إذ ذُيّلت الوثيقة الأميركيّة بالإشارة إلى أنّ ساترفيلد «شكّك في الجدوى العسكريّة والسياسيّة للخطّة». والطريف أنّ الفيصل، في معرض شرحه لخطّته الملحميّة، كان يرى «أن لبنان سيكون معركة سهلة لانتصار الحلفاء المعادين لإيران» (مِن بين كلّ الجبهات الإقليميّة التي كانت إيران تتقدم عليها بحسب ما ورد).

متى أصبحت السعوديّة تكره حزب الله؟ خلال حرب تموز عام 2006 أو بعدها؟ بيان «المغامرة» الشهير صدر بداية الحرب. بيان «المصدر السعودي» الذي جاء فيه: «الوقت قد حان حتى تتحمّل هذه العناصر المسؤولية الكاملة وحدها عن أفعالها غير المسؤولة، وأنّ هذه العناصر وحدها مسؤولة عن إنهاء الأزمة التي خلقتها». كأنّ هناك مَن كان يطلب مِنهم العون! ستُظهِر وثيقة أميركيّة، لاحقاً، أن ذاك المصدر ليس سوى الخارجيّة السعوديّة نفسها. فالفيصل سيحرص أن يُرسِل نسخة عن البيان إلى السفير الأميركي في الرياض، جيمس أوبرويتر، إنّما منقوصة من العبارة التقليديّة التي تُشير إلى «التمادي الإسرائيلي». في تلك الأيّام، وقبل نهاية الحرب، رفض الفيصل في اتصال مع السفير الأميركي «أن تُشارك قوّات سعوديّة في قوّات حفظ السلام» في لبنان (بحسب وثيقة أخرى). هنا يرفض، لأن إسرائيل حاضرة والحزب لم يُهزم، أمّا بعد عامين فإنّه سيكون هو مَن يُطالب بإدارة غزو لبنان للقضاء على حزب الله. كان هذا قبل الأزمة في سوريا بخمس سنوات. قبل سمفونيّة «الاعتداء على الحرائر». نعم، في منتصف أيام الحرب، ستطلب السعوديّة مِن أميركا وقف إطلاق النار، أمّا السبب، بحسب الوثيقة، فيتلوه الفيصل: «أتمنى أن تطلبوا وقفاً لإطلاق النار وأن تتركوا حزب الله يرفضه. عندها سيكتشف الجميع حقيقة حزب الله بأنه خارج عن القانون. بدلاً من ذلك أنتم تحوّلون حزب الله إلى أبطال». رحل الفيصل عن هذا العالم حزيناً.

عودة بالزمن أبعد. إلى أيّام العدوان الإسرائيلي على لبنان قبل نحو 22 عاماً (عناقيد الغضب 1996). كان الراحل رفيق الحريري يجول العواصم، بالتنسيق مع دول القرار آنذاك، للوصول أخيراً إلى ما عُرِف بـ«تفاهم نيسان». بعد القاهرة وباريس والرباط، عاد الحريري إلى دمشق ليضع المسؤولين في حصيلة الجولة، ثم توجّه إلى بيروت ومِنها إلى السعوديّة عبر دمشق. كان عبد الله بن عبد العزيز ولياً للعهد آنذاك، والفيصل وزيراً للخارجيّة (ظلّ يشغل منصبه هذا نحو أربعين عاماً). هناك، في جدّة تحديداً، تسلّم الحريري الورقة الأميركيّة لوقف العدوان. لم يكن بإمكانه قبولها، لأنّ بنودها «تشرعن الاحتلال ولا تسير مع القرار 425 وبالتالي تلغي المقاومة». جال العالم لكنّه لم يتسلّمها إلا في السعوديّة! هذه دلالة غابت عن بال كثيرين مِمَن أرّخوا لتلك المرحلة. هذا ما استطاعت السعوديّة أن تخدم به لبنان آنذاك. الفيصل رحل، لكنّ نظيره الفرنسي إيرفيه دو شاريت لا يزال حيّاً، وهو على الأرجح لا يزال يذكر تلك الأيّام. أحداث تلك الحقبة، العلنيّة، لم تطلها وثائق «ويكيليكس». لا حاجة لذلك.

لم يكن حزب الله في تلك الأيّام يأتي بكلمة سوء ضدّ السعوديّة. لكنّها لم تُحبّه، بل لم تستطع أن تكفّ عن كرهه، وهو في زمن المقاومة الواضحة ضدّ الاحتلال الاسرائيلي (قبل التحرير وفي أيّام الحرب). ظلّ الحزب في أدبيّاته حريصاً على عدم ذكر السعوديّة بالاسم، حتّى عندما كان يأخذ عليها تآمرها ضدّه، فكان يقول بداية: دولة عربية. لاحقاً صار يقول: دولة خليجيّة. بعد ذلك: دولة الحرف الأول مِن اسمها... ويصمت. إلى أن طفح الكيل، فانفجر غضباً بعدما كانت المنطقة، برمّتها، قد تفجّرت. هو كره وجودي، مِن الجذور، لم تنفع معه كلّ محاولات الترقيع... إلا لتقطيع الوقت.

رد

تعليقاً على رد جعجع: «التخلص» تقليد قواتي شهير

فراس الشوفي

كان يمكن لمقال أمس «جعجع بعد الانقلاب: هل يقع في المحظور؟»، أن يمرّ من دون أن يُعلّق عليه حزب القوّات اللبنانية، مع استخلاص العِبر منه، فتخْتُم الدائرة الإعلامية في القوات، بذلك، سجالاً لا طائل منه، سوى ردّ مقابل. لكن ما دامت القوّات قد أصرّت على الردّ على مقال «الأخبار»، بعنوان وخمس نقاطٍ مع حواش، بات مفيداً التعليق على الردّ، من باب الاستفادة من المادة الجديدة التي وفّرتها «الدائرة الإعلامية». ولأن العنوان «قواتيّ» بامتياز من ناحية تضمينه مبدأ «التخلّص»، ويحتاج إلى عناية خاصّة، سيتمّ تفنيد النقاط الخمس وحواشيها قبله.

أوّلاً، تنفي القوّات في بيانها انتظار رئيس الحزب سمير جعجع الضربة الإسرائيلية على لبنان، بعلامة كلامه في مقابلته الأخيرة مع الزميل وليد عبّود و«وصفه في مجالسه الخاصة والعامة حصول حرب إسرائيلية على حزب الله بالهراء»، وتوقّعه أن «الإسرائيليين لا يتحركون إلّا وفق حساباتهم الخاصّة». ونفي توقّع الحرب هنا، وفقاً لمعطيات قائد القوات أو تحليلاته، لا يعني عدم انتظارها، إذ إن من يبدي استعداداً دائماً لقتال حزب الله، ويقدّم عروضاً لأعداء المقاومة في لبنان لتأدية هذا الدور حين «تحين الساعة»، لماذا يتعفّف إذا كان العدوان الإسرائيلي فرصة؟ على الأقلّ، على قاعدة «عدوّ عدوّي صديقي».

ثانياً، يعترض بيان القوّات على القول إن «جعجع رأى في الظروف مناسبة لقلب المعادلة اللبنانية الحالية»، ويؤكّد أن «جعجع لعب دوراً أساسيّاً في إيصال لبنان إلى المعادلة الحاليّة...». هنا ظنّ جعجع أن المعادلة المقصودة هي تلك الأخيرة التي أتت بالرئيس ميشال عون إلى سدّة الرئاسة، فجاء ردّه كذلك. وتوضيحاً، فإن المعادلة المقصودة هي معادلة لبنان المنتصر على إسرائيل بجيشه وشعبه ومقاومته، وليس لبنان الضعيف الذليل الذي يستمدّ قوّته من ضعفه، فينزع سلاحه إرضاءً لإسرائيل، أو كما يطالب جعجع. أما وأنه ذكر المعادلة الأخيرة، فوجب التوضيح أيضاً أن جعجع استلحق دعم عون للرئاسة، عندما شعر بأن هذه هي السبيل الوحيدة ليكون «الزعيم المسيحي الثاني»، الذي قد يحجز كرسيّ الرئاسة، للدورة التالية.

ثالثاً، يرفض بيان القوات القول إن «جعجع يحضّر نفسه للاصطدام بالجيش»، ويشير إلى أن القوات «من أكثر الداعمين للجيش والقوى الأمنية». وهنا وقعت الدائرة الإعلامية، ومن وراءها، في المغالطة أيضاً؛ فإشارة الكاتب إلى أن جعجع سيصطدم بالجيش، لا تعني أن جعجع يخطّط لهذا الصدام، بل للتأكيد على أن صدامه لن يكون مع المقاومة، التي تحول دون الوصول إليها عقبات عدة، أولاها الجيش، المعنيّ الأوّل بضبط العابثين بالسلم الأهلي. أمّا مسألة دعم الجيش، فكان من الأفضل أن تهمل «الدائرة الإعلامية» هذه النقطة، وكأنها لم تكن، لأن في التاريخ والكتب ما يكفي من الأمثلة على هذا «الدعم»، وخصوصاً تلك التي يرويها أهالي الضحايا من العسكريين.

رابعاً، يقول بيان القوّات إن «جعجع وفي كلّ إطلالاته وتصاريحه ومواقفه أيّد رئيس الجمهورية في سعيه إلى التريّث...»، مذكّراً بتغريدة الحكيم للحريري «ناطرينك»، ويشير إلى أن «الأمور انجلت في إطلالة الحريري الأخيرة». وهنا وجب التذكير، أيضاً، بأن القوّات اللبنانية أوّل من لوّح باستقالة وزرائها من الحكومة اعتراضاً على تعيين سفير للبنان في سوريا قبل أيام من استقالة الحريري، بعد أن كان هؤلاء قد شاركوا في الجلسة ذاتها التي اتخذ فيها قرار التعيين. وبقيت مواقف القوات لأيام عدة في إطار المزايدة على مواقف الحريري نفسه، وكأن القوات هم حماة «مبادئ 14 آذار» والحريري باعها، حين قبل بهذا التعيين، ليظهر رئيس الحكومة أمام السعودية في موقف الضعيف.

ثم يكفي قول جعجع في مقابلته مع عبّود إن «أيّ أحد لديه كرامة، كان يجب أن يقدّم استقالته منذ زمن»، في الوقت الذي لا يزال فيه عون والرئيس نبيه بري وتيار المستقبل يرفضون الاعتراف بها لأنّها أتت تحت الضغط وخارج البلاد، حتى بعد أن «انجلت الأمور في مقابلة الحريري»، كما يقول البيان.

خامساً، يتّهم بيان القوات كاتب المقال و«من وراءه» بمحاولة ضرب العلاقة بين القوات والتيار الوطني الحرّ، والقوات وتيار المستقبل. ضرب علاقة القوات بالوطني الحر والمستقبل لا يحتاج إلى محاولات «خارجية»، فالعلاقة يمكن أن تُضرب بمحاولات القوات نفسها، كما كان يحدث خلال الأشهر الأخيرة، بسبب الكثير من الملفّات. أمّا من جهة «الأخبار» والكاتب، فيكفي أن لا ينشرا ما بات يقوله مسؤولو التيار الوطني الحر وتيّار المستقبل عن جعجع والقوات، كي لا تكون «محاولات جديّة» لضرب علاقة القوّات بالتيارين.

وبعد أن تؤكد القوات في آخر حواشي بيانها أنها «ستدّعي بكل المواد الجرمية التي تقع في إطار الردّ على الصحيفة وكاتب المقال»، معلّلة ذلك بـ«تبيان الحق والحقيقة»، تختم بعنوان «والتخلّص من أبو زهرات الصحافة اللبنانية». وإذا كان الادّعاء حقاً مشروعاً، فإن الاستيضاح عن كيفية التخلّص من «أبو زهرات الصحافة اللبنانية» أمرٌ مثير للفضول، قبل أن يكون مادّة للادّعاء القانوني، إذا اعتبرنا أن المقصود بـ«أبو زهرات» هو الكاتب، أو صاحب الجريدة، أو أي شخص/ ضحيّة آخر. وهنا لا بدّ من بعض الأسئلة ختاماً: هل يتضمّن «التخلّص» أساليب «تشويقيّة» كتفجير الضحيّة في مروحيّة أو في تفجير كنيسة؟ أو ربّما بتذويب الجسد بـ«الأسيد» أو صبّ الباطون على القدمين والرّمي في بحر جونية أو المرفأ؟ أم أن الأمر لن يتعدّى الرمي بالرصاص وقوفاً إلى جانب حائط، التزاماً بالتقاليد القواتية المعروفة؟